DATE DUE

843 : V93 m A [redacted]

ڤولتير - فرنسوا ماري أ. دي

ميكروميغاس وثلاث قصص.

JAN 10 5187
SEP 28 E177

843
V93mA [redacted]

DEC 12 '55
DEC 1 '56
MY 13 '54
MR 21
AP 16
AP 6 '56
'56
MAY
OCT 25 '57

3 OCT 1980
JAFET LIB
4 SEP 1987

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

843
V93mA

فولتير

ميكروميغاس

وثلاث قصص

67200

نقلها إلى العربية : الياس أبو شبكه

HOMMAGE DES ÉDITEURS
"LES LETTRES FRANÇAISES"

Gift - Cat. Dec. 1946

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

ميكرو ميغاس

وثلاث قصص

میکرومیگاس

الفصل الاول

رحلة احد سكان عالم الشعرى الى كوكب زحل

في احد الكواكب السيارة التي تدور حول النجمة المطلق عليها اسم الشعرى اليمانية ، كان فتى متوقد الذهن تشرّفت بالتعرّف اليه في الرحلة الاخيرة التي قام بها في هذا العالم الصغير . ويدعى هذا الفتى ميكروميغاس ، وهو اسم يوافق كلّ كبير . يبلغ طول ميكروميغاس ثمانية فراسخ ، واعني بثمانية فراسخ اربعة وعشرين الف خطوة هندسية كل منها خمس اقدام .

سيسرع بعض العارفين بالجبر، وهم دائماً من محبي الفائدة ، الى تناول القلم فيتبين لهم انه اذا كان السيد ميكرو ميغاس القاطن بلد الشعرى اليمانية يبلغ من قمة رأسه الى باطن قدميه اربعة وعشرين الف خطوة يساوي مجموعها مئة وعشرين الف قدم ، و كنا نحن مواطني الارض لا يتجاوز طول الواحد منا خمس اقدام ، و كان قطر الكرة الارضية تسعة آلاف فرسخ ، فيجب حتماً ان تبلغ دائرة الكرة التي انبتت ميكرو ميغاس واحداً وعشرين مليونا وستمائة الف مرة اكثر من محيط ارضنا الصغيرة . وليس في الطبيعة ابسط من هذا ولا اكثر شيوعاً . فولايات بعض ملوك المانيا او ايطاليا ، هذه الولايات التي يمكن لفها بمدة نصف ساعة ، اذا قيست بدولة تركيا او المسكب او الصين لا تأتي بسوى صورة ضئيلة عن الفروق الهائلة التي وضعتها الطبيعة في جميع الخلائق .

ولن يشقى جميع من عندنا من النحاتين والمصورين في الموافقة على انه اذا كان طول فخامته كما ذكرت فمن المعقول ان لا يقل زناره عن خمسين الف قدم .

اما عقله فمن اخصب ما يتوفر لانسان ، فهو يعي اشياء لا تعد

ولا تحصى وقد اخترع بعضاً من هذه الاشياء. اذ حزر بقوة ذكائه اكثر من خمسين مسألة من مسائل اقليدس وهو بعد طالب في أشهر معاهد الشعرى ، غير متجاوز مئتين وخمسين سنة من عمره . ولما بلغ المئة الرابعة بعد الخمسين سنة ، اي لما اجتاز عتبة الحداثة ، شرح كثيراً من تلك الحشرات الصغيرة التي لايبلغ قطرها مئة قدم ولاترى بالميكروسكوبات العادية ، وألف عنها كتابا على جانب كبير من الغرابة أورثه بعض مشاحنات . فقد وجد فيه شيخ بلده ، وهو عجوز طاعن في السن وبالغ من الجهل أبعد حدوده ، قضايا تدعو الى الشبهة وتسيء الى الآداب العامة ، وتفوح منها رائحة الكفر والالحاد فأمر بملاحقته . وكان مدار البحث في الكتاب براغيث الشعرى اليمانية وهل تتفق طبيعتها وطبيعة الحازون . فدافع ميكروميغاس عن نفسه بظرف وذكاء. آخذاً النساء من جهته ، وبقيت الدعوى مئتين وعشرين سنة واسفرت عن فوز الشيخ بمساعدة بعض الفقهاء الذين لم يقرأوا الكتاب ، فحكم على المؤلف وعلى صاحبه بالنفي ثمانية قرون من البلاط الملكي .

على أن ميكروميغاس لم يحزن كثيراً لطرده من بلاط ملأته

الصغائر والاكاذيب ، فنظم اغنية تهكم بها على الشيخ ولم يعبأ بها هذا الاخير ،وشرع يتنقل من كوكب الى كوكب كالطائر من غصن الى غصن فعبر المجرة بوقت قصير وانتهى به السير الى كرة زحل . وهو وان يكن الف رويبة الاشياء الجديدة الا انه حين وقع نظره على صغارة تلك الكرة وسكانها لم يقو على ضبط نفسه من ابتسامة التفوق التي تفلت احياناً من اعقل الناس . ذلك ان زحل ليس اضخم من الارض بسوى تسعمائة مرة ، ومواطنو هذا البلد اقزام لايبلغ علو الواحد منهم الا ستة الاف قدم .

سخر منهم بادىء ذي بدء كما يسخر موسيقي طلياني من موسيقى لولي حين يأتي الى فرنسا . ولكنه رجع في الحال الى رشده وتذكر ان العقل لا يقاس بمقياس الطول والعرض ، وأن قزمة لا يتجاوز طوله ستة آلاف قدم قد يكون على جانب من الذكاء . فسعى الى التقرب من الزحليين بعد ان أدهشتهم جثته الهائلة حتى توصل الى كاتم اسرار المجمع العلمي الزحلي وهو رجل واسع الادراك ، لم يخترع شيئاً ، ولكنه يعطي اراء صائبة في مخترعات الاخرين ، ويحسن بعض الاحسان نظم مقاطع قصيرة من الشعر وحل مسائل

حسابية عويصة ، فأنس به وارتبط معه بعرى صداقة متينة . والى القراء حديثاً عجيباً دار يوماً بين ميكروميغاس وحضرة كاتم الاسرار .

الفصل الثاني

حديث بين قاطن الشعرى وقاطن زحل

بعد أن تمدد فخامته واقترب كاتم الاسرار من وجهه قال ميكروميغاس :

لا بد لنا من الاعتراف بأن الطبيعة كثيرة التنوع . فقال الزحلي : أجل، إن الطبيعة اشبه ما تكون بروضة ازهارها . . . فقاطعه الاخر بقوله : دع روضتك لا تتكلم عنها . فاستطود كاتم الاسرار

قائلا : هي كمجلس نساء بيض وسمر زينتهن .. فقاطعه الاخر بقوله : مالي وانسائك السمرا — اذن هي كرواق صور رسومها .. فقاطعه الرحالة بقوله : لا ! بل الطبيعة هي كالطبيعة ، فلماذا نبحث لها عن تشابيه ؟ فاجاب كاتم الاسرار : لاسرك . فقال الرحالة : لا اريد ان أسر بل اريد ان اتعلم . قل لي اولا كم حاسة لرجال كرتك ؟ فاجاب الزحلي : لنا اثنتان وسبعون وكل يوم نتذمر من هذه القلة . فتصورنا يذهب الى ابعد من حاجاتنا ، ونرى ان حواسنا الاثنتين والسبعين وحلقتنا واقمارنا الخمسة تجعلنا في حيز ضيق وأننا بالرغم من فضولنا كله ومن مشتهياتنا الكثيرة الناتجة عن حواسنا الاثنتين والسبعين لا يزال لنا متسع كاف للسأم والملل . فقال ميكرو ميغاس : ليس في ذلك أي ريب عندي ، فنحن لنا في كرتنا ما يقرب من الف حاسة ، ولا يزال فينا لا أعرف أية رغبة مبهمة ، بل اي قلق ، ينبهنا دائماً الى صغارتنا والى ان ثمة خلائق اكمل منا بكثير . لقد سافرت قليلاً ، فرأيت مائتين دوننا بكثير ومائتين فوقنا بكثير ، ولكني لم أرَ منهم احداً لا ينطوي من المشتهيات على اكثر مما ينطوي من الاحتياجات الصحيحة ، ومن الاحتياجات على اكثر من ارضاء الخواطر . وقد اصل يوماً الى البلد

الذي لا يعوزه شيء ، ولكن حتى الان لم يحثني أحد بأنباء راهنة عن هذا البلد .

وبعد ان أفرغا ما في جعبتها من الافتراضات والأدلة عادا الى الامور الواقعة فقال ميكروميغاس : كم تعيشون ؟ فاجاب القزمة الزحلي : وقتاً قصيراً جداً . فقال الرحالة : عندكم كما عندنا ، فنحن نتذمر دائماً من القليل . ولاشك في انه ناموس كوني من نواميس الطبيعة . فقال الزحلي متحسراً : نحن لا نعيش الا خمسمائة دوران كبير من الشمس ، (اي خمسة عشر الف سنة ، على طريقتنا الحسابية .) الا ترى اننا لا نكاد نولد حتى نموت ؟ فحياتنا نقطة ، وموتنا لحظة ، وكرتنا ذرة . لانوشك ان نهم بمعرفة شيء قليل حتى يدركنا الموت قبل الاختبار . لا اكتمك اني لا اجرؤ على القيام بأي مشروع فاني أرى نفسي كنقطة ماء في بحر خضم ، واني لأخجل ، امامك على الخصوص ، بالوجه المضحك الذي اظهره في هذا العالم .

فاجابه ميكروميغاس : لو لم تكن فيلسوفا خشيت ان احزنك حين اقول لك ان حياتنا أطول من حياتكم بسبعمائة مرة . ولكنك

تعرف حق المعرفة انه حين يعود الجسد الى أصوله ليحيي الطبيعة في شكل آخر، اي حين يجيء الموت ، لا يبقى اي فرق بين ان نكون قد عشنا ابدية او عشنا يوما . لقد زرت بلدانا يعيش سكانها حياة اطول بالف مرة من الحياة التي نعيشها نحن ، ومع هذا رأيتهم يتذمرون . ولكنَّ في كل مكان اناساً اولي احكام سليمة يحسنون تناول قسمتهم وحمد مبدع الطبيعة . فقد وزع على هذا الكون فيضاً من المتنوعات في انسجام عجيب . خذ مثلاً جميع الخلائق المفكرة فهي تختلف في الشكل ولكنها في باطن الامر تتشابه بموهبة الفكر والرغائب . ان المادة منتشرة في كل مكان ، ولكن لها في كل كرة خصائص متنوعة . فكم من هذه الخصائص المتنوعة تحصي في مادتك ؟

فأجاب الرحلي : اذا كنت تتكلم عن تلك الخصائص التي نعتقد ان هذه الكرة لاتقوى بدونها على البقاء كما هي فلدينا منها ثلاثة كالمدى ، وعدم قابلية النفوذ ، والحركة ، والثقل ، وقابلية التجزوء ، وغير ذلك .

فقال الرحالة : هذا العدد الصغير يكفي في الظاهر وجهات نظر

الخالق في موطنكم الصغير . اني لأعجب بحكمته في كل شيء ، ففي كل مكان ارى فروقاً ولكني ارى ايضا تناسباً في كل مكان . فكرتك صغيرة وسكانها ايضاً . وان تكن احاسيسكم قليلة فليست خصائص مادتكم كثيرة . وكل هذا عمل الحكمة العليا .

من اي لون شمسكم ؟

فاجاب الزحلي : من الابيض المائل الى الاصفرار الشديد . وحين نجزئ احد اشعتها نجد فيه سبعة الوان .

فقال ميكرومينياس : اما شمسنا نحن فتضرب الى اللون الاحمر ، وعندنا تسعة وثلاثون لونا اصليا . وليس بين جميع الشموس التي عرفتها شمس تشبه الاخرى كما انه ليس عندكم وجه لا يختلف عن سائر الوجوه .

وبعد جملة اسئلة من هذا النوع استخبر عن عدد الجواهر المختلفة في زحل ، فعلم انه ليس فيه الا ثلاثون منها كالله ، والمدى ، والمادة ، والخلائق المديدة التي تحس وتفكر ، والخلائق المفكرة التي لا امتداد لها ، والخلائق التي يمكن النفوذ اليها والتي لا يمكن النفوذ اليها ، وغيرها . وكان في الشعرى من هذه الجواهر المختلفة ثلاثمائة

عدا الثلاثة الالاف الاخرى التي اكتشفها ميكرو ميغاس في اسفاره فاحدث في الفيلسوف الزحلي دهشة عظيمة. وفي نهاية الامر، بعد ان تبادلا قليلا مما يعرفان وكثيرا مما لا يعرفان، وبقيا مدة دوران شمسي (اي ثلاثين سنة) يقرعان البرهان بالبرهان والدليل بالدليل صح عزمهما على القيام برحلة فلسفية قصيرة.

الفصل الثالث
رحلة قاطني الشعري وزحل

كان الفيلسوفان على اهبة النزول في جو زحل مزودين بعدة وافية من الالات الرياضية حين جاءت عشيقة الزحلي ، وقد بلغها الامر ، دامعة المقلتين كئيبة القلب توبخه على سوء تصرفه ، وهي فتاة جميلة سمراء لا تبلغ من الطول الا ثلاثة الاف وتسعمائة وستين قدما ، ولكنها تعوض عن قصر قامتها بكثير من الفتن والجواذب .

قالت معولة : اه ياظالم ! ابعد ان قاومت حبك خمس عشرة مئة سنة، وحين بدأت استسلم اليك ، ولما تنقض مئة سنة على ارتمائي بين ذراعيك ، تتركني لتسافر مع مارد من عالم آخر ! رح ، فلست سوى فضولي ، ولم يطرق الحب قلبك ابدا . ولو انك زحلي صحيح لكنت وفيا . الى اين تريد الذهاب ؟ وماذا تريد ؟ ان اقمارنا الخمسة لأقل دوراناً منك وحلقتنا اقل منك تقلبا . لقد آليت على نفسي ان لا احب بعد اليوم احداً . فطوقها الفيلسوف بذراعيه ولم يمنعه مقامه كفيلسوف من البكاء معها . وبعد ان اغمي عليها ذهبت تعزي نفسها بين ذراعي استاذ آخر .

وفي غضون ذلك ذهب الفيلسوفان فقفزا اولا على الحلقة فوجداها مسطحة كما حزر احد مشاهير قاطني كرتنا الصغيرة ، ومن الحلقة ذهبا من قمر الى قمر . ومر مذنب بالقرب من القمر الاخير فوثبا عليه مع الخدم والالات ، حتى اذا قطعا نحوا من مئة وخمسين مليون فرسخ صادفا المشتري فمكثا فيه عاما اطلعا خلاله على اسرار عجيبة كانت ولا ريب تحت الطبع لولا قلم المراقبة الذي وجد فيها بعض قضايا صارمة .

وما ان خرجا من المشتري واجتازا نحواً من مئة مليون فرسخ حتى حازيا كوكب المريخ ، وهو كما هو معلوم اصغر من كرتنا الصغيرة بخمس مرات ، فشاهدا قمرين يستخدمان لهذا الكوكب لم تعثر عليهما انظار علمائنا الفلكيين . على انهما خشيا ان لا يتوفر لهما فيه مكان للنوم لصغر محيطه فمرّا كما يمر مسافران بجانة قذرة . وبعد مسافة طويلة تراءى لهما شعاع ضئيل . كان هذا الشعاع كرة الارض . وبديهي ان يثير مشهد كهذا شفقة من يهبط من المشتري . ولكنهما خشيا ان لا يجدا مكانا اخر يستريحان فيه فقررا النزول في هذه الكرة الحقيرة . وصادفا مذنب هالي فركباه وابصرا فجرا فجلسا فيه ، وبلغا الشاطىء الشمالي من المحيط الباطيقي ، في الخامس من شهر تموز من العام الف وسبعمائة وسبعة وثلاثين .

الفصل الرابع

ماذا جرى لهما في كرة الأرض

بعد ان استراحا قليلا واكلا جبلين اعدتهما الحاشية بنظافة واتقان ارادا ان يتعرفا الى البلد الصغير الذي حلّا فيه . فذهبا اولا من الشمال الى الجنوب . وكانت خطوة ميكرومیغاس العادية ورجاله تبلغ نحواً من ثلاثين الف قدم . اما القزمة الزحلي فكان يركض خلف الجبار لاهثاً .

وبما ان سيرهما كان على جانب كبير من السرعة فقد دارا دورة الكرة بست وثلاثين ساعة . والواقع ان الشمس او بالاحرى الارض تنجز مثل هذه الرحلة بنهار واحد ، سوى ان من يدور على نفسه اكثر راحة ممن يمشي على قدميه . وعادا اخيراً الى حيث كانا بعد ان شاهدا ذلك المستنقع الدقيق المسمى بالبحر المتوسط ، وذلك الغدير الصغير المعروف بالاوقيانوس . فلم يغمر الماء سوى النصف الاول من ساق القزمة ولم يكد الاخر يتبلل عقب حذائه . ولقد بذلا كل مابوسعهما، في الذهاب والاياب ، لمعرفة شيء عن هذه الكرة وهل هي مأهولة بالسكان ام لا ، فانحنيا وتمددا وجسّا كل مكان . سوى ان انقطاع التناسب بين ايديهما واعينهما من جهة والخلائق الصغيرة التي تدب هنا من جهة اخرى لم يشعرهما بشرف وجودنا نحن وزملائنا من سكان هذه الكرة .

وكان القزمة يتسرع احيانا في احكامه فقرر اولا ان لا ساكن في الارض . وحجته الاولى انه لم ير احداً . فاشعره ميكروميغاس بكل تهذيب ان تعليله خاطىء ، فقال : انت لا ترى بعينيك الصغيرتين بعض نجوم اراها انا بوضوح كبير ، افتستنتج من هذا

ن هذه النجوم ليست موجودة ؟

فقال القزمة : ولكنني لم ادع نقطة الا جَسَستُها .

فأجاب : الاخر لقد اخطأت الحس .

فقال القزمة : ولكن هذه الكرة رديئة البنيان ، شاذة عن قواعد الهندسة وفي شكل يثير الضحك . ألا يبدو لك أن كل شيء مشوّش فيها ؟ هذه السواقي الصغيرة تجري بدون أي نظام ، وهذه الغدران لا مستديرة هي ولا مربّعة ولا مستطيلة ولا في اي شكل منظم ، وهذه البذور الصغيرة الحادة (يعني الجبال) تنتفش بها هذه الكرة ، وقد خدشت رجليّ . أو لم تلاحظ ايضاً قالب الكرة بمجموعها ، كيف انه مسطّح في القطبين ، و كيف يدور حول الشمس بطريقة خرقاء . تفسد هواء القطبين فلا يصلحان لزرع ولا لضرع ؟ الحقيقة أن ما يحملني على القول بأن لا حياة في هذه الكرة هو ظني أن الانسان العاقل لا يقبل السكن فيها .

فقال ميكرومغاس : قد لا يكون سكانها من القوم العقلاء ، ولكن من مظاهرها ما يدلّ على انها لم تخلق عبثاً . قلتَ ان كل شيء يبدو لك مشوشاً هنا ، لأن كل شيء محكم البنيان في زحل

والمشتري . وربما لهـذا السبب نفسه نرى بعض التشويش في هذه الكرة . ألم أقـل لك اني لاحظت في اسفاري أن كل شيء يختلف باختلاف الاماكن ؟

ولكان الجدل مضى بهما الى ما لا نهاية له لو لم تبلغ حدّة النقاش بميكروميغاس مبلغاً انقطع معه عقده الماسي فانفرطت الجواهر وكانت كبراها تزن اربعمائة ليبرة وصغراها خمسين . فالتقط القزمة بعضاً منها، وإذ تبين له وهو يدنيها من عينيه ان كلًا منها ميكروسكوب ممتاز تناول ماسة يبلغ قطرها مئة وستين قدماً وركبهـا على حدقته ، واختار ميكروميغاس واحدة قطرها الفان وخمسمائة قدم . ولكنهما لم يبصرا شيئاً بادىء ذي بدء . ولما أحكم الزحلي ميكروسكوبه رأى شيئاً دقيقاً يتحرك بين موجتين في البحر البلطيقي . كان هـذا الشيء حوتاً . فتناوله بيمنصره بلباقـة وخفّة ووضعه على ظفر ابهامه وعرضه على رفيقه ، فلم يتمالك للمرة الثانية من الضحك حين وقع نظره على صغارة المخلوقات في كرتنا هذه .

ولما قنع الزحلي بأن عالمنا مأهول صوّر له في الحال أنه ليس مأهولاً سوى الحيتان . وبما أنه كان من كبار الراغبين في الاثبات والتحليل

اراد ان يعرف مصدر هذه الذرّة ومن اين تستمد حركتها وهل لها افكار وارادة .

وكان ان الحيوان حيّر ميكروميغاس فأخذ يتفحصه بصبر وجلد، وخلص الى أنه ليس ثمة سبيل الى الاعتقاد بان فيه روحاً .

وفيما الرحّالتان يجنحان الى تثبيت رأيهما فيما يتعلق بانعدام وجود النفس في قاطني هذه الكرة ابصرا في الميكروسكوب شيئاً اضخم من الحوت يطفو على مياه البلطيقي .

يعلم الجميع أن سرباً من الفلاسفة كان عائداً في تلك السنة نفسها من القطب الشمالي بعد ان اجرى فيه ابحاثاً لم تخطر في بال احد من قبل . فذكرت الصحف ان الباخرة التي كانت تقل هؤلاء الفلاسفة جنحت على شواطىء خليج بوتني وان ركابها كابدوا مشقة كبيرة في سبيل النجاة .

وسأقص بنيّة سليمة كيف جرى ذلك من غير ان ازيد حرفاً من عندي . ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة على المؤرخ .

الفصل الخامس

ما أتاه الرحالتان من التجارب والبينات

بسط ميكرو ميغاس يده بتؤدة نحو الجهة التي ظهر فيها هذا المشهد ، وقدم اصبعين من اصابعه التقط بهما المركب الذي كان يقلّ اولئك السادة ، ثم وضعه على ظفر ابهامه بخفّة وعناية مخافة ان يسحقه ، فقال القزمة : « هذا حيوان يختلف كل الاختلاف عن الاول . »

وما كاد ميكرو ميغاس يضع الحيوان المزعوم في باطن كفّه ، حتى تحرك جميع من في المركب من الركاب والبحارة اذ خيّل اليهم ان

عاصفة هوجاء. رفعت المركب وألقته على جسم يشبه الصخر ، وراح البحارة يطرحون دنان النبيذ على يد ميكروميغاس ويترامون وراءها، والرياضيون يأخذون آلاتهم وينزلون بها على اصابعه حتى احس بجسم يدغدغ احداها . كان هذا الجسم إسفيناً أغرز في سبّابته . فاستنتج من هذا الوخز أن شيئاً خرج من الحيوان الصغير ، ولم يذهب الى ابعد من ذلك في بادىء الامر .

لا تسل عما اتاه فيلسوفنا الشعروي من ضروب الحنكة والحذق ليتمكن من رؤية الذرّات التي ذكرتها . فحين رأى لوفنهوك وهارتسويكر او حين خيل اليهما انهما اول من رأى البذرة التي تتكوّن منها لم يقوما بأدهش من هذا الاكتشاف . ولا تسل عن عظم اللذة التي شعر بها ميكروميغاس وهو ينظر الى تلك الآلات الصغيرة تتحرك ، ويتتبعها في جميع اعمالها . واذ وضع واحداً من ميكروسكوباته في يدي رفيقه هتف هذا الأخير قائلاً : « لقد رأيتها ! » وقالا بصوت واحد : « ألا تراها تقلّ احمالا ، تنحني وتنهض ؟ »

وكانا يتكلمان وايديهما ترتجف فرحاً برؤية اشياء بهذا المقدار

من الجدة ، وخوفاً من فقدانها . وفيما الرحلي ينتقل من الاسراف في الشك الى الاسراف في سرعة الايمان صوّر له انها تتكاثر عملاً بسنّة نشر الجنس فقال : « آه ! لقد فاجأت الطبيعة في اثناء ارتكابها . » ولكنه انخدع بالمظاهر . والانخداع بالمظاهر كثير الوقوع في حالتي استعمال الميكروسكوب وعدم استعماله .

الفصل السادس

ماذا جرى لهما مع الناس

تبيَّن لميكروميغاس ، وهو احسن ملاحظة من قزمته ، ان الذرّات تتخاطب ، واعلم رفيقه بذلك . سوى أن هذا الاخير ، وقد خجل من خطأه في موضوع التناسل ، أبى الاقتناع بأن انواعاً كهذه يتفق لها ان تفكر . ومع انه لم يكن دون الشِعروي معرفة باللغات فلم يتوصل الى التقاط اصوات الذرّات وبقي مصراً على اعتقاده الاول . وكانت حجته أنه يستحيل على خلايق دقيقة كهذه ان تتكلم ، وماذا

يمكنها ان تقول ؟ فمن شروط الكلام ان يكون ناجماً عن الفكر ، ومن شروط الفكر ان يكون صادراً عما يوازي النفس ، فعزو ما يوازي النفس الى هذا النوع من الحشرات ضرب من الغباوة .

فقال الشِعروي : ولكنك اعتقدت منذ هنيهة أنها تتعاشق ، أفتظن ان التعاشق ممكن بدون تفكير ، وبدون التلفظ بكلمة ، او بدون تفاهم على الاقل ؟ أوتظن ان الاتيان بحجة اصعب من الاتيان بولد ؟ ...

فقال القزمة : كلاهما في مذهبي من الاسرار العظيمة ، فقد صرت لا اجرؤ على الايمان ولا على النكران . وما دمت لم يبقَ لي رأي فلنتفحص هذه الحشرات ثم نعود الى الادلة والبراهين .

فقال ميكروميغاس : حسنٌ جداً ما تقوله .

وفي الحال تناول مقصاً قلّم به اظافره ، ومن قلامة ابهامه صنع بوقاً كبيراً يشبه القمع ، ووضع قُصَيبته في أذنه ، وبدائرة القمع طوّق الباخرة وركابها .

كان أضعف الاصوات يتغلغل في عروق الظفر المستديرة بحيث أن فيلسوف العالم الاعلى سمع بجلاء طنين الحشرات في هذا العالم . وما

هي الا ساعات قلائل حتى تمكن من تمييز الكلمات وسماع اللغة الفرنسية . وحذا القزمة حذوه ولكن بأشد جهداً منه .

وكانت دهشة الرحالتين تزداد ثانية بعد ثانية لدى سماعها الحشرات تلزم منطق الحكم السليم ، فشرعا يبذلان كل ما بوسعهما لمخاطبة هذه الحشرات . واذ خشيا ان يصم صوتها الجهوري مسامعها الدقيقة وضعا في فمها مساويك لاضعاف الصوت . ثم اجلس الشعروي القزمة على ركبتيه ووضع المركب وركابه على احد اظافره ، وبدأ يخاطب الحشرات بصوت منخفض جداً . قال :

« ايتها الحشرات الخفية ، التي حلا لبد الخالق ان تلدها في هوة الصغر المتناهي ، اني لأحمده على انه تنازل فكشف لي اسراراً كنت اخالها لن تكشف . قد لا يكلف المرء في عالمي نفسه مشقة النظر اليك ، ولكنني لا احتقر أحداً وأمد لك يد الحماية . »

لم يسبق للدهشة ان استحوذت على مخلوق مقدار ما استحوذت على اولئك الذين سمعوا هذه الكلمات ولم يحزروا مصدرها ، فتلا مرشد المركب صلاة التقاسيم ، وجدّف البحّارة ، وضرب الفلاسفة قياساً لم يجدهم نفعاً . وكان قزمة زحل ارق صوتاً من ميكروميغاس

فأطلعهم ببضع كلمات على نوع الخلايق التي تخاطبهم ، وقص عليهم رحلة زحل ، واوقفهم على حقيقة السيد ميكروميغاس . وبعد ان اعرب لهم عن اسفه لاجرامهم الصغيرة سألهم ايلزمون دائماً هذه الحالة البائسة القريبة من العدم ، وماذا يصنعون في كرة كأنها ملك الحيتان وهل يتمتعون بالسعادة ، ويتكاثرون ، وهل لهم روح ، ومئة من امثال هذه الاسئلة .

فأثارت هذه الاسئلة ، ولا سيما الشك في وجود الروح ، مكمن الغضب من صدر رياضي كان قد ابصر مخاطبه عن طريق احد المراصد ، فقال : ألأنك تبلغ ستة آلاف قدم من رأسك الى قدميك يخيل اليك ياحضرة السيد ، انك ...

فصرخ القزمة قائلاً : ستة آلاف قدم ! يا للسماء ! من اين عرف طولي ؟ ستة آلاف قدم ! لم يخطىء قيد شعرة . ماذا ! أبوسع هذه الذرة ان تقيسني ! ولا يسعني ان اقيسها انا الذي لا يستطيع رؤيتها الا بالميكروسكوب !

فقال الرياضي : أجل لقد قستك وسأقيس ايضاً رفيقك الضخم .

فقُبل الطلب واضطجع فخامته اذ لو بقي واقفاً لظل رأسه محجوبا

بالفيوم . فغرس فلاسفتنا شجرة كبيرة في مكان منه لو كان الدكتور سويفت مكاني لما تردد في تسميته باسمه ، ولكني لن افعل لشدة احترامي للسيدات .

وبدأ فلاسفتنا باجراء ارقام حسابية خلصوا منها الى ان الذي يرونه شاب يبلغ طوله مئة وعشرين الف قدم .

حينئذ لفظ ميكروميغاس هذه الكلمات : « لقد صرت كبير اليقين انه لا ينبغي لنا ان نحكم بالظواهر . ربِ ! يا من وهبت الذكاء لكل مادة مهما تبلغ صغارتها ، ان الأجرام المتناهية في الصِغَر تكلفك من الجهد مقدار ما تكلفك الاجرام المتناهية في الكبر . واذا كان من الممكن وجود مخلوقات اصغر من هذه فلا يستبعد ان يكون لها عقل يتفوق على عقل تلك الحيوانات الرائعة التي رأيتها في السماء وتستطيع ان تعمر بقدمها الكرة التي هبطت اليها . »

فأكد له احد الفلاسفة انه ثمة خلائق ذكية اصغر من الانسان بكثير . واخبره ليس عن كل ما ذكره ڤرجيل من الخوارق عن النحل بل عما اكتشفه سوامردام وشرحه ريومور . واعلمه اخيراً ان ثمة حيوانات هي من النحل بمثابة النحل من الانسان ، او الشِعرويّ

نفسه من تلك الحيوانات الهائلة التي ذكرها ، وهذه الاخيرة من اجرام اخرى لا تبدو امامها الا بمثابة ذرات .

وما زالوا يتباحثون حتى دخلوا في مواضيع راقت الرحالتين جداً فقال ميكروميغاس :

الفصل السابع

حديث مع الناس

« ايتها الذرات الذكية ! يامستودعاً لعظمة الخالق وفطنته ، لا شك انك تتمتعين بلذات طاهرة في كرتك ، لانك وانت قليلة المادة كثيرة العقل لا يمكنك الا ان تصرفي حياتك في الحب والتفكير . وهي حياة الارواح الصحيحة ! لم يتفق لي ان اجد السعادة الحقيقية في مكان ، ولكني لا أشك في أنها تقطن هذه البقعة . »

فلما سمع الفلاسفة هذا الكلام هزوا رؤوسهم ، واعترف احدهم

وهو أشد صراحة من الآخرين ، انه اذا استثني عدد قليل من السكان يبقى جماعة من المجانين والارديا. والبائسين . قال : ان المادة التي تتكون منها هي اكثر مما نحتاج لنرتكب كثيراً من الشر اذا كان الشر يصدر عن المادة ، والروح التي فينا هي اوسع مما نحتاج اذا كان الشر يصدر عن الروح . أتعلم ان مئة ألف مجنون مبرنط من جنسنا يعمدون في الساعة التي اخاطبك فيها الى قتل مئة الف حيوان آخر معمم او ان هؤلا. يقتلون اولئك ؟

فارتعش الشعروي وسأله عن سبب هذه المخاصمات الشنيعة بين حيوانات بهذا المقدار من الحقارة . فأجابه الفيلسوف ان السبب في هذه المخاصمات يرجع الى حمأة لا تبلغ مساحتها ما تبلغه مساحة عقبك يذهب بعضهم الى انها ملك رجل يدعى « السلطان » ويذهب آخر الى انها ملك رجل يدعى «القيصر» ولا اعلم لماذا يدعى كذلك . ولم يسبق لهذا ولا لذاك ان رأى بقعة الارض التي يقتتلون لاجلها ولن يراها ابداً كما انه لم يتفق لاي من الحيوانات التي تتناحر ان رأى بعينه الحيوان الذي يجري التناحر لأجله .

فصرخ الشعروي غاضباً وقال : يا لهم من اشقياء ! تحدثني نفسي

بأن اخطو ثلاث خطوات وأسحق بثلاث رفسات وكر اولئك القتلة المضحكين .

فقال الفيلسوف : لا تكلف نفسك تلك المشقة فهم يجدّون في العمل على هلاك انفسهم ، وان تمضي عشرة اعوام حتى لا يبقى نزر قليل من اولئك البائسين . فالجوع والاتعاب والطمع نذير ينذرهم بالهلاك اذا لم ينذرهم السيف . والواقع ان الذين يستحقون العقاب ليسوا هؤلاء بل هم اولئك البرابرة القاعدون الذين يصدرون من داخل دواوينهم وفي اويقات المخض اوامرهم بقتل مليون رجل ثم يحمدون الله علناً على ما فعلوا .

فشعر الرحالة بدافع يدفعه الى الشفقة على الجنس البشري الذي اكتشف فيه ذلك القدر من المتناقضات المدهشة . فقال لاولئك السادة : بما انكم في جملة ذلك العدد الصغير من العقلاء لا تظلمون على ما يظهر ولا تقتلون طمعاً في المال فأسألكم ان تطلعوني على نوع الاعمال التي تقومون بها .

فقال الفيلسوف : اننا نشرّح ذباباً ونقيس خطوطاً ، ونجمع اعداداً ، فنتفق على نقطتين او ثلاث نقاط نفهمها ونختلف على الفين

او ثلاثة آلاف لا نفهمها .

فحلا للشمروي وللزحلي ان يستنطقا تلك الذرات المفكرة ليعرفا الاشياء التي تتفق عليها فقال هذا الاخير : كم تعدّون من الشعرى الى برج الجوزاء ؟ فاجابوا كلهم بصوت واحد : اثنتين وثلاثين درجة ونصف درجة . كم تعدون من هنا الى القمر ؟ ستين نصف قطر من الارض . كم يبلغ ثقل الهواء الذي تعيشون فيه ؟ وكان يعتقد انهم يجهلون ، ولكنهم اجابوا جميعاً ان الهواء يزن نحواً من تسعمائة مرة اقل من مثل هذا الجرم من اخفّ ماء ، وتسعة عشر الف مرة اقل من ذهب البدرة .

فدهش القزمة الزحلي من اجوبتهم حتى كاد يحسبهم من السحرة وكان لربع ساعة خلا ابى ان يعترف بوجود نفس فيهم .

واخيراً قال لهم ميكرومغاس : بما انكم تحسنون معرفة ما يخرج عنكم فلا شك انكم احسن معرفة بما يدخل فيكم . فما هي نفسكم وكيف تكوّنون افكاركم ؟

فتكلم جميع الفلاسفة دفعة واحدة شأنهم في البداية ، ولكنهم جاؤوا بآراء مختلفة . فأكبرهم سناً اورد ارسطاطاليس ، ومنهم من

ذكر اسم ديكارت او لبنيتز أولوك . اما التابع لمذهب ارسطاطاليس فقال بصوت مرتفع وبلهجة الواثق من نفسه : ان النفس هي الكمال في الذات ، وهي علة تملك على يدها القدرة على ان تكون كما هي . هذا ما صرح به اريسطو في الصفحة الـ ٦٣٣ من طبعة اللوفر .

وأورد الفيلسوف استشهاداً باللغة اليونانية ، فقال المارد : انا لا أحسن اللغة اليونانية . فقالت الحشرة الفلسفية : ولا انا كذلك . فاستطرد الشعروي قائلاً : فيم اذاً تستشهد بذلك الاريسطو باللغة اليونانية ؟ فاجاب العالم : لانه يجب ان نستشهد بما لا نفهم باللغة التي نحن أقل فهما لها من سواها .

وقال التابع لمذهب ديكارت : النفس هي روح طاهرة اكتسبت في احشاء امها جميع الافكار الميتافيزية ، وعند خروجها من احشاء الأم ذهبت تواً الى المدرسة فتلقنت من جديد كل ما كانت تدركه تمام الادراك وظلت جاهلة اياه تمام الجهل .

فاجاب الحيوان البالغ من الطول ثمانية فراسخ : كان الاحرى بنفسك ان لا تكون عالمة في بطن أمك من ان تكون جاهلة وانت صاحب حية . ولكن ماذا تفهم بالروح ؟

فاجاب الفيلسوف : ما معنى سؤالك هذا؟ يقال انها ليست المادة .
– ولكن اتعلم على الاقل ما هي المادة ؟ – تمام العلم . خذ مثلاً هذا الحجر فهو اغبر اللون وذو شكل ما وله اقيسته الثلاثة كما له ثقله وقابليته للتجزي .

فقال الشعروي ، حسن . فما هو هذا الشي . الذي يبدو لك قابلاً للتجزي . ، ثقيلاً وأغبر ؟ انت ترى بعض خاصيّات ، اما كنه الشي . فهل تعرفه ؟ فاجاب الفيلسوف : لا . – اذن انت لا تعرف ما هي المادة .

ووجه ميكروميغاس الكلام الى حكيم آخر كان على ابهامه فسأله ما هي نفسه وماذا تعمل ؟ فاجاب الفيلسوف الماليغرانثي انها لا تعمل شيئاً . قال ان الله هو الذي يعمل كل شي . لاجلي ، فأنا ارى كل شي . فيه واعمل فيه كل شي . ، وهو الذي يعمل كل شي . بدون تدخلي .

فقال حكيم الشعرى : كل هذا دليل على عدم الفائدة من وجودك .

وتحول الى احد اشياع لبنيتز وسأله قائلاً : وانت ياصاح ، ما هي

نفسك ؟ فاجاب اللبنيتزي : هي ابرة تشير الى الساعات بينا جسدي يدق . او اذا شئت هي التي تدق بينا جسدي يشير الى الساعات . او ان نفسي مرآة الكون وجسدي اطار هذه المرآة . وكل هـذا في منتهى الوضوح .

وكان احد اشياع لوك واقفاً على مقربة فلما وُجه اليه السؤال اجاب : لا ادري كيف افكر ، ولكني ادري اني ما فكرت مرة الا بداع من حواسي . ولست اشك في وجود جواهر مجردة من المادة وذكية ، ولكني اشك جداً في انه يستحيل على الله ان يعطي المادة فكراً . اني اجل القدرة الابدية وليس من شأني ان احدها . ولست اؤكد شيئاً واكتفي بأن اعتقد ان الاشياء الممكنـة اكثر وجوداً مما يظن .

فابتسم الحيوان الشعروي اذ لم يجد هذا الاخير دون الآخرين حكمة ولكان قزمة زُحل عانق تابع لوك لولا التفاوت العظيم بينهما .

ولكن سوء البخت شاء ان يكون هناك حيوان ذو قبّعة مربعة قطع الكلام على جميع الحيوانات الفلاسفة قائلاً انه يعرف كل السر فهو في كلام القديس توما . وبعد ان نظر الى الرحالتين من قمة رأسها

الى باطن قدميهما اكد لهما ان شخصيهما والعوالم التي جاءا منها والشموس والنجوم لم تخلق الا للانسان .

فأطلق الرحالتان من ذلك الضحك المتأجج الذي قال عنه هوميروس انه قسمة الآلهة . وكانت اكتافهما وبطناهما تذهب وتجيء. ويستلقي احدهما على الآخر حتى سقط المركب من ظفر الشعروي واختفى في طية من سروال الزحلي . فأخذا يجدان في البحث عنه ولما وجداه عاد الشعروي الى ملاطفة تلك الحشرات وان يكن ساءه في اعماق نفسه ان يرى في المتناهين في الصغر عجرفة متناهية في الكبر . ووعدهم بأن يضع لهم كتاباً في الفلسفة يرون فيه منتهى الاشياء . وفي الواقع اعطاهم هذا الكتاب قبل ذهابه ، فحملوه الى اكاذيمية العلوم في باريس . ولكن لما فتحه امين السر لم يرَ الا اوراقاً بيضاء !

ممنون
أو الحكمة البشرية

صح عزم ممنون يوماً ان يكون حكيماً كاملاً ، وليس في الناس من لم يخطر في باله احياناً هذا الخاطر الاحمق .

قال ممنون في نفسه : ليس لي لكي اكون حكيماً ، ومتى صرت حكيماً صرت في منتهى السعادة ، الا ان ان اجرّد نفسي من الاهواء . وليس اسهل من هـذا الامر ، فأول ما اعمله اني لن احب امرأة ، فاذا رأيت جمـالا كاملاً اقول في نفسي : هاتان الوجنتان ستنكمشان يوماً ، وهاتان المقلتان الجميلتان ستذبلان ، وهـذا الجيد المستدير سيصير متهدلا بشعاً ، وهذا الرأس الجميـل سيمسي اصلع .

وليس لي الا ان اراه منذ الآن بالعين التي ستراه فيما بعد لاكون واثقاً من ان هذا الرأس لن يلعب برأسي .

وثاني ما اعمله اني ازهد في الاكل والشرب فاذا اغوتني الاطعمة الشهيـة والخمورُ اللذيذة وفتنةُ المجتمع فليس لي الا ان اتمثل عواقب الافراط من ثقل في الرأس وتلبُّك في المعدة وضياع العقـل والصحة والوقت ، فأعتدل في الاكل والشرب فتعتدل صحتي وتصفو افكاري وتشرق . وكل هذا من السهولة بحيث لا ارى اي فضل في الوصول اليه .

ثم يجب ان اصرف بعض الاهتمام الى ثروتي ، فرغباتي معتـدلة واموالي المضمونة تسمح لي بأن اعيش في غنىً عن الآخرين . وهذه اعظم النِعَم اذ لن اضطر الى بذل ماء الجبين في التسكع لأولي الجاه . ولن احسد احـداً ولن يحسدني احد ، اما اصدقائي فسأحتفظ بهم لانهم لن يجدوا عندي موضوعاً للنزاع . وهذا ايضاً من السهولة بمكان .

وما كاد ممنون يضع على هذا الشكل خطته الصغيرة للوصول الى الحكمة حتى اطلَّ من نافذته فرأى امرأتين تتنزهـان تحت شجرة الدلب بالقرب من بيته . كانت احداهما مسنة وكأنها لا تفكر في

شيء ، والاخرى شابة جميلة وكأنها شديدة الانهماك ، فكانت تتنهد وتبكي فتزداد ظرفاً وملاحة . فتأثر حكيمنا ليس بجمال السيدة ، اذ كان كبير اليقين ان الضعف لن يتملكه من هذه الناحية ، بل بمظهر الحزن الذي بدت فيه . فنزل اليها ليواسيها بحكمة ، فقصّت عليه بلهجة ساذجة مؤثرة المظلمة التي انزلها بها عمها ، ولم يكن لها عم ، وكيف انه انتزع منها اموالها ، ولم يكن لها اموال ، وكل ما كانت تخشى من عسفه وطغيانه . قالت : يبدو لي انك رجل حسن النصح فاذا تلطفت فصحبتني الى بيتي وتفحّصت شؤوني فانك ولا شك رافع عني ما يرهقني من الهمّ . فلم يتردد ممنون في الذهاب معها ليتفحص شؤونها بحكمة ويسدي اليها نصيحة حسنة .

فمضت به السيدة الحزينة الى غرفة معطّرة واجلسته معها بأدب وحشمة على مقعد عريض وراحت تتكلم خافضة النظر ، وكلما ارتفع نظرها المندّى بالدمع صادف نظر الحكيم ممنون . وكان كلامها طافحاً بحنو يتضاعف كلما التقى النظران ، فيشعر ممنون من حين الى حين بدافع عظيم يدفعه الى تأدية معروف لشخص على هذا الجانب من الاستقامة وسوء البخت . وكانت نصائح ممنون لها من الرقة بحيث

خرج بها الحديث عن نطاق الشؤون .

وهما كذلك دخل العم كما كان متوقعاً . وكان مدججاً بالسلاح من قمة رأسه الى باطن قدميه . وأول كلمة تلفظ بها انه سيقتل الحكيم ممنون وابنة شقيقه ، وآخر ما تلفظ به من الكلام انه يقبل الصفح لقاء كمية وافرة من المال . فاضطر ممنون الى اعطائه كلّ ما كان لديه . وفي ذلك الزمان كان سعيداً من يستطيع تبرئة ذمته بمثل هذه الصفقة البخسة . فامير كما لم تكن بعد قد اكتشفت ، والسيدات الحزينات لم يكنّ خطرات مقدار ما هنّ اليوم .

ولما عاد ممنون الى بيته خجلاً ومغتماً وجد بطاقة تدعوه الى تناول الغداء مع رهط من اصدقائه الخلّص . فقال في نفسه : اذا بقيت وحدي هنا أفسح لنفسي سبيل التفكير في حادثتي المؤسفة فأمتنع عن الأكل وأمرض ، فالافضل ان اشاطر اصدقائي الخلّص طعامهم الشهي فأنسى في عذوبة محيطهم ما اتيته من الحمق هذا الصباح .

واذ علم أصدقاؤه بما حلّ به حملوه على الشرب ليسرّي عنه . فقليل من الخمر دواء للروح وللجسد . هكذا قال الحكيم ممنون في نفسه ، وشرب حتى السكر . وبعد الطعام اقترح عليه ان يلعب ،

فلعبة معتدلة مع اصدقاء هي أُلهيَّة صالحة . فلعب فخسر كل ما كان في كيسه وأربعة اضعاف ما كان فيه تعهد بدفعها . وكان ان احتدم الجدل في أثناء اللعب فرماه احد اصدقائه الخلّص على رأسه ببوق صادف عينه ففقأها . فحُمل الحكيم ممنون الى بيته سكران بلا مال واعور .

وما كاد يصحو من سكره حتى ارسل خادمه الى مديونه ليجيئه بمال يدفعه الى اصدقائه الخلّص ، فقيل له ان مديونه افلس في الصباح تاركاً مئة عائلة في قبضة البؤس . فذهب ممنون الى البلاط ليشكو المفلس الى الملك ، وكان على عينه مرهم وفي يده عريضة . فصادف في احدى القاعات رهطاً من السيدات ، فقالت احداهنّ ناظرة اليه خلسة . وكانت تعرفه قليلاً : « يالالفظاعة ! » وقالت له اخرى ، وكانت اكثر معرفة به : « عم مساء ياسيد ممنون . اني مسرورة برؤيتك ياسيد ممنون . ولكن لماذا ، ياسيد ممنون ، خسرت احدى عينيك ؟ » ومرت بدون ان تنتظر جوابه . فاحتجب ممنون في زاوية ، وانتظر ريثما يحين الوقت ليرتمي على قدمي الملك . ولما حان قبّل الارض ثلاث مرات وقدم عريضته . فأولاه الملك حسن التفاتة وناول العريضة

احد افراد حاشيته ليعمل بمقتضى فحواها ، فمضى الرجل بممنون الى ناحية وقال له بلهجة تتقاسمها العجرفة والسخرية اللاذعة : يالك اعور مضحكاً ، اتجرؤ على رفع عريضتك الى الملك بدلا من رفعها الي ؟ وتتجاسر على ان تشكو مفلساً شريفاً يتمتع بشرف حمايتي وهو نسيب لاحدى وصائف عشيقتي ؟ اذا شئت ان تحتفظ بالعين الباقية لك فارجع عن هذه الدعوى .

وهكذا رأى ممنون نفسه ، بعد ان عدل في الصباح عن النساء وعن الافراط في الطعام وعن اللعب والمشاحنات وعن البلاط بوجه خاص ، قد انخدع بسيدة حسناء ، وسُرق ، وسكر ، ولعب ، وخوصم ، وخسر إحدى عينيه ، وذهب الى البلاط حيث سُخر منه ، وكل هذا حصل له قبل ان يهبط الليل .

عاد ممنون الى بيته ممزق القلب من الالم ، وقبل ان يدخل رأى رُسل المحكمة يصادرون الاثاث من قِبل دائنيه ، فلبث تحت شجرة دلب على وشك ان يغشى عليه . وفي تلك الآونة مرت سيدة الصباح مع عمها العزيز ، فلما وقع نظرها على ممنون معصوب العين انطلقت في الضحك . واذ هبط الليل استلقى ممنون على كومة قش ازاء جدران

بيته ، وأصابته الحمى فرقد ، واذا بروح سماوي يتراءى له في الحلم .

كان هذا الروح يشع نوراً ، وله ستة اجنحة جميلة ، ولكن ليس له قدمان ولا رأس ولا ذنب ، ولا يمت بشبه الى احد . فسأله ممنون قائلاً : من انت ؟ فاجابه الروح : انا روحك الصالح . فقال له ممنون : ردَّ اليَّ اذاً عيني وصحتي ومالي وحكمتي . ثم قصَّ عليه كيف خسر كل هذا في يوم واحد .

فقال الروح : هذه الحوادث لا تحصل لنا ابداً في العالم الذي نقطنه .

فقال الرجل الحزين : وأي عالم تقطنون ؟

فاجاب الروح : ان وطني يبعد مسافة خمسمائة مليون فرسخ عن الشمس ، فهو في نجمة صغيرة بالقرب من الشعرى التي تراها من هنا .

فقال ممنون : ياله بلداً جميلا ! اليس عندكم لصَّات يخدعن رجلا مسكيناً ، ولا اصدقاء خلَّص يربحون ماله ويفقأون عينه ، ولا مفلسون ، ولا حاشية تسخر منك وترفض دعواك ؟

فقال ساكن النجمة : لا ، ليس عندنا شيء من هذا . فنحن لم نتخدع بالنساء اذ ليس عندنا نساء ، ولا نفرط في الطعام لأننا لا نأكل ، وليس عندنا مفلسون اذ ليس عندنا ذهب ولا فضة ، وليس

يوسع احد ان يفقأ لنا اعيننا اذ ليس لنا اجساد كأجسادكم ، ورجال الحاشية لا يظلموننا لان جميع الخلق متساوون في نجمتنا الصغيرة .

فقال له ممنون : بماذا تصرفون وقتكم ياحضرة السيد الذي لا يعرف النساء ولا يأكل ولا يشرب ؟

فأجاب الروح : نصرفه في السهر على سائر الكرات التي عهد الينا بالسهر عليها . وها انذا قد جئت لاواسيك .

فقال ممنون : وآحسرتاه ! لماذا لم تجيء في الليلة الفائتة لتمنعني من ارتكاب تلك الحماقات كلها ؟

فاجابه المخلوق السماوي : كنت منشغلا بحسن ، أخيك البكر . فهو ادعى الى الشفقة منك . فصاحب الجلالة ملك الهند الذي اوتي اخوك شرف الاقامة ببلاطه امر بأن تفقأ له عيناه الاثنتان بسبب هفوة صغيرة ، وهو الآن في السجن مكبَّل اليدين والرجلين بالحديد .

فقال ممنون : ان وجود روح صالح في عائلة لا يخلو من الفائدة ما دام لا يمنع ان يصير احد الاخوين اعور والآخر اعمى ، احدهما على القش والآخر في السجن .

فقال حيوان النجمة : ولكن حظك سيتبدل . لا اكتمك انك

ستبقى دائماً اعور ، ولكنك ستذوق شيئاً من السعادة بشرط ان لا تحدثك نفسك بالوصول الى الحكمة الكاملة .

فقال ممنون متنهداً : اذن يستحيل على الانسان ان يصير حكيما كاملا ؟

فاجابه الروح : كما يستحيل عليه ان يبلغ المهارة الكاملة ، والقوة الكاملة ، والسلطة الكاملة ، والسعادة الكاملة . نحن انفسنا ابعد بكثير من بلوغ هذا الكمال . ثمة كرة يجتمع فيها كل هذا ، ولكن كل شيء يتعاقب تدريجاً في المئة الالف من ملايين العوالم المنتشرة في المدى الرحب . ففي الثاني تقل الحكمة واللذة عنهما في الاول ، وفي الثالث تقلان عنهما في الثاني ، وهكذا دواليك حتى تصل الى الاخير وكل من فيه مجانين .

فقال ممنون : اخشى ان تكون كرتنا الصغيرة هـذه هي العالم الذي ذكرته .

فقال الروح : ليس تماماً ما تقول ، بل هي قريبة منه : يجب ان يكون كل شيء في مكانه .

فقال ممنون : ولكن هل اخطأ بعض الشعراء وبعض الفلاسفة

في قولهم ان كل شيء حسن ؟

فاجاب الفيلسوف السماوي : بل اصابوا كل الاصابة حين نظروا الى تنظيم الكون بمجموعه .

فاعترض ممنون المسكين بقوله : لن اصدق ذلك الا حين يزول عوري .

الزوجة المخلصة

كان في بغداد القديمة ، على عهد الملك « معبدر » ، رجل مقبل العمر يدعى « صادقاً » فطر على سلامة الطبع وعلى خُلق صُقل بما تهيأ له من أسباب التهذيب . وكان مع وفرة غناه وطلاقة شبابه يحسن ان يلطف اهواءه فلا يتردّى بثوب غير ثوبه ولا يغتم . ثم انه كان يأبى ان يكون الحقّ الى جانبه في كل حين ، وكان ايضاً على خبرة في ضعف الناس فلم يجنح عن احترام الوهن في صدر أي كان .

اما الناس فكانوا يدهشون اذ يرونه مع بسطة علمه ونضوج عقله لا يتردى بداعر الكلام الى شتم تلك الخزعبلات الباطلة والاستخفاف بتلك العربدة الممقوتة او تلك النائم المتهوّرة ، والآراء

المغفّلة ، والممازحات الغليظة الجافة ، وذلك الكلام الزهوق ، والى كل ما كان يطلق عليه كلمة « مطارحات » في بابل .

كان صادق قد اخذ عن الكتاب الاول الذي ألفّه « زردشت » ان الانانية كرة هوائية منتفخة متى وخزت خرجت منها زوابع ، فلم يكن ليذهب بنفسه انه يحتقر النساء او يملك عليهنّ مذاهب الجدل ، اذ كان كريم النشأة أدعى الى التساهل بما تناهى اليه من اباء النفس ، حتى انه لم يكن يخشى ان يصطنع الى الجاحدين ، على حدّ قول « زردشت » في هذه القاعدة الوجيهة : « عندما تأكل أطعم الكلاب ولو ايقنت انها ستعضك . » وكان حكيما بقدر ما اتسع لذاك الزمن من اسباب الحكمة اذ كان يتسلل الى اماكن الحكماء ليعيش معهم . ألمّ باطراف العلوم الكلدانية القديمة فلم يكن يجهل أصول الطبيعيات بحسب ما كان يتناولها عصره ، وفوق ذلك كان يدرك من علم المعقولات ما ادركه الناس في اي عصرٍ كان ، اعني نزراً تافهاً لا يتدلى الى ذكره اللسان .

وكان يعتقد كل الاعتقاد ان السنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً على رغم الفلسفة الجديدة التي كان يحيط بها زمانه ، وأن الشمس تقوم

في وسط العالم . وحين كان وجوه الموابذة يقولون له بمخيلة من شأنها أن تقضي شهوة من العبث به انه على جانب من فساد الرأي وان قوله في دوران الشمس على نفسها واعتباره السنة في اثني عشر شهراً انما هو مظهر من مظاهر العداء للدولة ، كان يلزم الصمت من غير ان يدع للغضب او للهوان سبيلاً اليه .

لقد امكنه الله من نواصي الغنى ، وأمده بأصدقاء أوفياء ، ومنحه عافية ووجهاً وسيماً مع روح عادل لا يتهور وقلب صادق نبيل ، فشخص له انه يقدر ان ينحط على جوانب السعادة . وكان يرغب في الزواج من « سمير » ، وهي فتاة تهيأ لها من اسباب الجمال والثروة وكرم النشأة ما جعلها اول قسمة في بابل .

كان « صادق » يضمر لها في صدره كلفاً راسخاً عفيفاً ، وتضمر له حباً يتدلف بها الى الهوى ، حتى انهما كانا من القران السعيد على ايام ساعة ابصرا وهما يتنزهان معاً تحت النخيل المزين شواطىء الفرات جمعاً من رجال مدججين بسيوف وحراب . كان هؤلاء اتباع «اركان» الفتى ، وهو ابن اخت وزير ، وقد صور له جلساء خاله انه ان عالج امراً ملك عليه من جميع اطرافه . ولم يكن الله قد فسح له في ما

فسح لصادق ، الا انه كان يائساً من بلوغ الذروة التي بلغ اليها هذا ، مع اعتقاده ان أسباب المعرفة هي أوفر في نخاعه مما هي في نخاع صادق . هذه الغيرة التي لم تأت الا عن الادعاء والزهو بالنفس صوّرت له انه يحب « سميراً » حتى الوله فحدثته نفسه بخطفها . وما هي الا فترة حتى قبض الخاطفون عليها ، وفي نزوة من نزوات حدَّتهم أصابوا منها جرحاً من حيث لم يتعمدوا فأسالوا دم شخص لو تناولت ثمرةُ جبل «ايلاووس» نظرة منه لما ملكت نفسها من الحنو والشفقة .

كانت « سمير » تشق جلدة السماء بصراخها وشكواها ، وتنادي اليها حبيبها صارخة : « انهم يسلخونني عمن اعبد ياحليلي ! » ولم يكن همها منصرفاً الى الخطر المحدق بها ، بل كان منصرفاً كله الى حبيبها صادق الذي كان يعالج في الذود عنها كل ضروب الشدة التي تفتقها البسالة والحب .

وفي نهاية الامر أُتيح لصادق بمؤازرة اثنين من العبيد ان يشتت شمل الخاطفين وينكفىء بسمير الى بيتها وهي مغشيّ عليها ومضروجة بالدم .

لما فتحت عينيها وقعتا على منقذها فقالت له : « كنت احبك ،

ياصادق ، حب الخليلة خليلها ، اما اليوم فإني احبك كما يجب ان احب من أنا مدينة له بالشرف والحياة . »

لم يجاور قلب بشري تأثر ابعد من التأثر الذي جاور قلب سمير ، ولم ينطق فم ساحر بعاطفة وحنو اكيدين اخلص مما نطق به فم هذه المخلوقة في تلك العبارات النارية المتأججة التي تلهمها عاطفة تنتسب الى اجل فضل وانبل معروف ويوحيها ارق هيجان لأحق هوى .

كان جرحها طفيفاً لا يدعو الى قلق . اما جرح « صادق » فكان بالغاً اذ أُصيب بسهم في محجره لم يسلم منه .

لم تسأل « سمير » الآلهة الا ان تمنحها شفاء حبيبها . وكانت ، عيناها منطلقتين في الدموع صباح مساء ، وهي ترقب الحين الذي يتاح فيه لمقلتي صادق ان تتمتعا بالنظر الى مقلتيها ، الا ان قروحاً فاجأت العين المجروحة فأشاعت الخوف في كل خلجة من خلجات سمير .

جيء من « منفيس » بالطبيب الاكبر « هرمس » ومعه موكب عظيم من حاشيته ، فصرح بعد الفحص ان المريض لن يسلم من فقد عينه ، حتى انه تدلف في حكمه الى التنبوء عن اليوم وعن الساعة اللذين سيحل فيهما ذلك المصاب الجلل . وقد خلص في كلامه الى القول:

« لو كان الجرح في المقلة اليمنى لما صعب علي شفاؤه ، اما وهو في المقلة اليسرى فلن يشفى . »

لم تجد بابل مندوحة عن النزول في امرها على احترام معارف « هرمس » في حين انها كانت تشترك في التأسف على ما احاط القدر بصادق من الوان التعاسة . وما هي الا ثمان واربعون ساعة حتى زالت القروح من نفسها وتم لصادق الشفاء . فوضع « هرمس » كتاباً بيّن فيه ان صادقاً وان شفي الا انه كان عليه ان لا يشفى .

اما صادق فلم يحفل بالكتاب ولم يقرأه . ولكنه لما وطىء له الخروج من بيته شرع في اعداد العدة لزيارة تلك التي كانت رجاءه الوحيد في سعادة عيشه والتي من اجلها وحدها كان يشتهي ان يكون له عينان .

كانت سمير في خلال ذلك قد انتجعت قرية في خارج المدينة لتصرف من الايام ثلاثة ، فانتهى لصادق وهو في الطريق ان تلك المرأة الجميلة ، بعد ان اعلنت انها لا ترى في العَوَر الا بشاعة كبيرة ، قد زفت الى « اركان » في الليلة نفسها التي اختلط فيها النور على صادق . فقطع به لدى هذا الخبر المشؤوم وأسقط في يده حتى كاد

الحزن يفقده الحياة .

بقي مدة طويلة يتقلب على فراش المرض الى ان تمنّع العقل من حزنه بالحصن القوي ، والى ان امكنته فظاعة ما اختبر من الوصول الى مواطن العزاء فقال : « بما اني نفضت عن نفسي هوى قاسياً صرمته فتاة تقلبت في طرف البلاط اعطافها فيجب عليّ ان اتزوج من ابنة وطنية . »

واختار حليلة له « عذراء » وهي ابنة اكرم من في المدينة نشأة واوفر بنات جنسها حكمة ، فتزوجها وعاش معها شهراً كاملاً تمتع فيه بعذوبة الاتحاد وحنانه . الا انه كان يشتمّ فيها ميلا خفيفاً الى الطيش ورغبة شديدة في ان تجد دائماً ان اكرم الشباب نشأة هو من توفرت فيه اسباب الفضيلة والرشد .

في احد الايام عادت « عذراء » من نزهة والغضب يجهم اسارير وجهها ، وصراخ الدهشة يملأ فمها ، فقال لها صادق : ما حلّ بك يازوجي الحبيبة ، ومن يستطيع ان يخرجك عن نفسك ؟

فقالت : اواه ! لو شهدت ما شهدته لملك عليك السخط كما ملك عليّ . خرجت لاعزي ارملة « كاسر » الشابة التي بنت منذ يومين

ضريحاً لزوجها الشاب على جانب الساقية التي تكتنف هـذا المرج . لقد وعدت الآلهة ساعة حزنها ان تلازم الضريح ما جرت ميـاه تلك الساقية على قدميه .

فقال صادق : فيمَ الغضب اذاً ؟ انهـا لامرأة وقور تحب زوجها حباً صادقاً .

فتأوهت عذراء واستطردت قائلة : آه ، لو انك عرفت اي امر كان يشغلها ساعة اتيت لزيارتها .

فقال : اي امر يا جميلتي عذراء ؟

فقالت : كانت تحوّل الماء عن قدم الضريح .

وارسلت عذراء نفسها على استمطار ألوان الشتائم ، وانطلقت تورد كل انواع المثالب بحق الارملة الشابة ، فلم يرق صادقاً هذا النوع من الفضيلة .

وكان لصادق صاحب يدعى « قادور » قسط له في النبل والخلق الكريم ، فنزل من نفس عذراء منزلا موفور الكرامة ، فوطأ له صادق رحابة بيته وادخله في عهدته ، وقد وثق من امانته بقدر ما اتسع له لما اتصف به الرجل من حاضر شريف وصيت حسن . اما عذراء فانها

بعد ان صرفت يومين بضيافة صديقة لها في ظاهر المدينة عادت في اليوم الثالث الى البيت ففاجأها الخدم والدموع تنحدر من اجفانهم بأن زوجها قد مات على حين غرّة في الليلة نفسها التي خرجت فيها لزيارة صديقتها . وزادوا على ذلك انهم دفنوا صادقاً في ضريح آبائه في طرف الحديقة .

فانطلقت عذراء في البكاء الشديد ، وملك عليها الحزن من جميع اقطارها ، فأخذت تنتف شعرها وأقسمت الّا تحيا بعده .

في المساء استأذنها « قادور » في التحدث اليها ، واستسلما للبكاء معاً . وفي اليوم التالي فطرا على مائدة واحدة وكان بكاؤهما اقل منه في اليوم المنصرم فافضى اليها « قادور » ان صديقه ترك له القسم الاوفر من ملكه ، وانه يقف سعادته كلها لاقتسام الثروة بينه وبينها . فبكت المرأة ، ثم حزنت ، ثم لانت . وتناول العشاء من الوقت اكثر مما تناول الغداء .

وما زال «قادور» يدارجها في الكلام ويلاطف في حديثه مراحتى ارتفعت الكلفة واستوثق احدهما من الآخر فتدلت « عذراء » الى الثناء على المرحوم ، سوى انها لم تجد بدّاً من مصارحة « قادور » بأن

صادقاً وان كان بعيد الهمة الا ان له نقائص تنزّه هو عنها .

في منتصف العشاء تشكى قادور من ألم شديد في معدتـه ، فأشكل على المرأة من شدة الأسف وانطلقت تعالج فيه كل انواع الاريج الذي تتعطر به لعلّها تقع منها على نوع يصلح لداء المعدة .

وكانت في الوقت نفسه تأسف جدّ الاسف لكون « هرمس » الكبير لم يبق في بابـل ، حتى انها تلطفت فجست ملمس الالم من « قادور » وقالت له بتودد وشفقة : هل عالجت هـذا الداء الوبيل فاستوصفت دواءه ؟

فاجابها : انه ليتراحف بي احياناً الى حافـة القبر ولا يقيلني اياه ويشيع فيّ الصحة الا دواء واحـد هو ان يلصق على جهة الالم انف رجل لم يمرّ اكثر من ليلة على موته .

فقالت عذراء : انه لدواء غريب !

ثم استوت على فكرة فأردفت قائلة : حين يتخطى زوجي عالم الامس الى عالم الغد على جسر « شنوار » هل يعمّي عزرائيل السبيل عليه فلا يستبين موضع خطوه لان انفه يكون أقصر في الحياة الثانية منه في الحياة الاولى ؟

قالت هذا وأخذت محلقاً وخرجت الى ضريح زوجها فرطبته بدموعها ودنت من « صادق » لتبتر أنفه فرأته ممدداً في وسط الضريح . في تلك الآونة نهض « صادق » قابضاً على انفه بيد وموقفاً المحلق بالأخرى وقال لها : لا تتحيفي بعد من حقّ ارملة « كاسر » فان تعمّدك بتر أنفي ليوازي ، ولا مرية ، تحويل ساقية عن مجراها .

سزوستریس

تعرفون ان لكل امرىء روحاً صالحاً يرشده ويقود خطاه في مسالك هذه الحياة القصيرة . وهذا الروح لا يبدو لانظارنا ، ولكنه يرافقنا من غير ان نراه .

ومعلوم ان الارواح الصالحة كانت في الماضي اكثر مؤالفة لنا منها اليوم، تحدثنا وتعيش معنا، ولا سيما مع الملوك، عيشة الاصدقاء الخلّص.

ففي مساء احد الايام فيما الملك سزوستريس يتنزه مع ملاكه على الشاطىء بالقرب من منفيس ، قال له :

— ها انذا ملك يا سيدي، ويودي ان استحق الملك، فكيف أعمل ؟

فاجابه مرشده :

– تعال معي الى هذه البناية الكبيرة التي بنى اوزيريس سورها الجميل تتعلم كيف تعمل .

فاطاع الملك ، ولما وصل الى البناية رأى في ساحتها آلهتين مختلفتين ، احداهما على جانب عظيم من الجمال والرونق . كانت مستلقاة بين الازهار يحيط بها الحب اللعوب والظرف المغوي ، وكأنها ما تزال سكرى من اللذة .

وكان على مقربة منها ثلاثة مساعدين ، تبدو عليهم مظاهر الجفاف والهزال والاصفرار والخور . فسأل الملك مرشده الامين قائلاً : من تكون هذه العروس البالغة هذا المبلغ من الرقة والجمال ، وماشأن هؤلاء الثلاثة المقيتين ؟

فاجابه المرشد : أتجهل من هي هذه العروس الحسناء يا اميري ؟ انها الشهوة معبودة كل من في بلاطك ومن في المدينة والريف . اما هؤلاء الثلاثة المقيتون الذين يمشون دائماً وراء سيدتهم فهم المقت والسأم والندم ، الاشباح البشعة ، ابناء اللذة القدماء .

فحزن الملك المصري لدى سماعه هذه الحقيقة ، وسأل مرشده قائلاً :

– وهذه الآلهة الاخرى ، من تكون ؟ فاني اراها دون هذه

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY

سهولة ورقة، ولكن سيماءها النبيلة وصفاءها الرصين تعجبني هي كذلك. ارى الى جانبها صولجاناً من الذهب وسيفاً وميزاناً، وفي يدها صحائف تصرفها عما حولها. وأرى هيكلاً جميلاً ينفتح لدى صوتها متألقاً نوراً وبهاء. وعلى واجهة الرواق العظيم اقرأ هاتين الكلمتين: الى الخلود! أبوسعي الدخول الى هذا الهيكل؟

فاجاب الملاك: الامر شاق، فكثيرون حاولوا الدخول اليه ثم عدلوا قانطين. فهذه الحسناء التي تبدو لك صلبة قاسية قد تلتهب احياناً. واذا كانت الشهوة اشد عذوبة واحساساً واكثر فتوناً فهذه اعرف بالحب. ولكن من يريد ان يحل في نظرها محلاً موفور الكرامة يجب عليه ان يتصف بروح عادل وقلب نقيّ وفيّ. انها الحكمة. وهذا الهيكل اللألاء الذي انفتح الان هو هيكل المجد. الا فاختر بين هاتين الالهتين اذ لا تستطيع ان تكون كلتيهما معاً.

فقال الملك الشاب: لقد تم اختياري، ولغيري ان يرغب في حب الاثنتين معاً. فبوسع احداهما ان تسعدني هنيهة من الزمن، اما الاخرى فتستطيع بي ان تسعد العالم.

ثم طبع على الاولى قبلتين وهو ماضٍ، ولكنه وهب قلبه للثانية.

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

تم طبع الكتاب

في مطابع صادر ريحاني ، بيروت في ٢ آذار ١٩٤٦

لحساب شركة النشر للآداب الفرنسية

بيروت — القاهرة — الجزائر

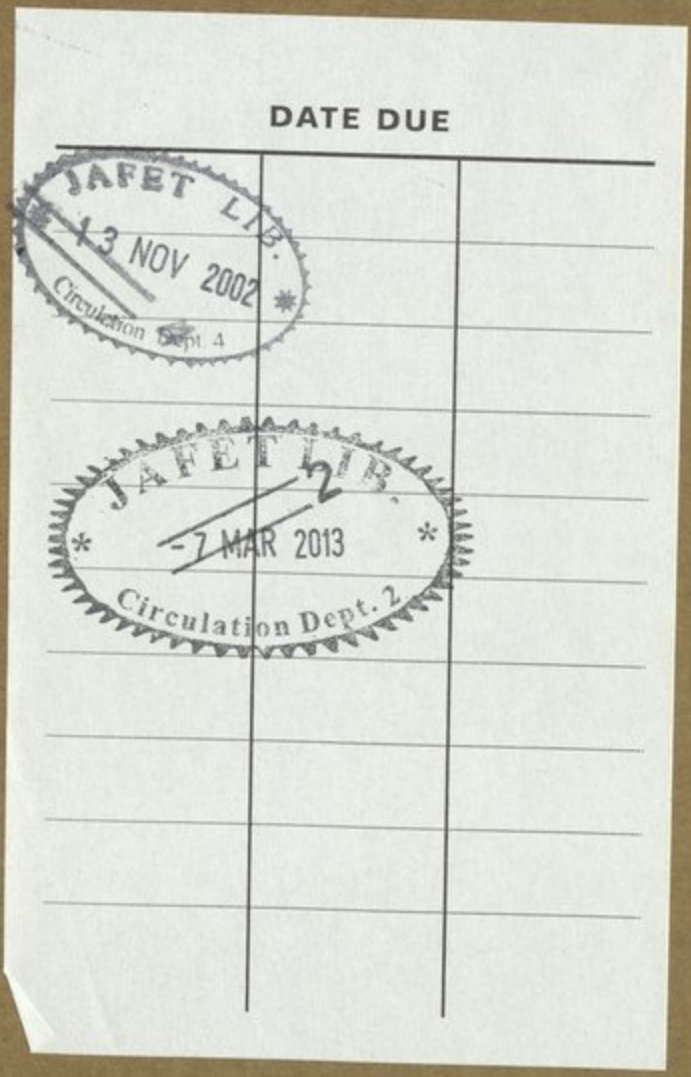
DATE DUE
JAFET LIB.
13 NOV 2002
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
7 MAR 2013
Circulation Dept. 2

843:V93mAa:c.1
أبو شبكة، الياس
ميكروميغاس وثلاث قصص
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01032174

Ameri

843
V93mAa

General Library

843
V93 mA